

سورة الاعلى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (9) ﴾

شرح الكلمات:

فذكر إن نفعت الذكرى: أي من تذكر أو لم تنفع ومعنى ذكر أي عظ بالقرآن.

المعنى الإجمالي :

{ فَذَكِّرْ } بشرع الله وآياته { إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى } أي: ما دامت الذكرى مقبولة، والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه.

ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن الذكرى مأموراً بها، بل منهياً عنها، فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين. وقوله تعالى { فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى } من آيسناك من إيمانهم أو لم تنفع. لأنه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مأمور بالبلاغ فيبلغ الكافر والمؤمن ويذكر الكافر والمؤمن.

أن هذه الآية تقوم بتعليم أصحاب الدعوة وظيفتهم في الإرشاد، وتوصيهم وتقول لهم: إن كان تذكيرك مفيداً فداوم عليه، علماً بأن الرسول صلى الله عليه وسلم على الرغم من خطاب الله له بقوله: { إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (البقرة:6)، فإنه دوام على تذكير قساة القلوب من قريش، أمثال أبي جهل وغيره. إن أساس وظيفة التبليغ والإرشاد هو تنفيذ أمر الله بدوام هذا التبليغ والاستمرار عليه. ولو أخذنا استجابة الناس أو عدم استجابتهم بالحسبان لأدى هذا إلى شيء معاكس ومناف لفهوم الدعوة في الإسلام ألم يقل سبحانه:

{ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } (المائدة:67). وقال سبحانه: { إِنْكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } (القصص:56)، وبهذا نعلم أن المهمة الملقاة على عاتق الدعاة إنما هي التبليغ، والتبليغ فحسب. وأخبر الله أن الذكرى تنفع المؤمنين، لأن ما معهم من الإيمان والخشية والإنابة، واتباع رضوان الله، يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى، وتقع الموعظة منهم موقعها كما قال تعالى: { فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى } . وأما من ليس له معه إيمان ولا استعداد لقبول التذكير، فهذا لا ينفع تذكيره، بمنزلة الأرض السبخة، التي لا يفيدها المطر شيئاً، وهؤلاء الصنف، لو جاءهم كل آية، لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم. قال محمد بن صالح بن محمد العنمين رحمه الله: أي: ذكر الناس بآيات الله وبأيامه، وشرائعه وما أوجب الله على العباد. وبأيامه: عقابه تبارك وتعالى للمكذبين وإثابته للطائعين، لكن أطلق الله الذكرى وقال: { وَذَكِّرْ } ولم يقل: وذكر المؤمنين، لكن بين أن الذي ينتفع بالذكرى هم المؤمنون فقال: { فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } لأن المؤمن إذا ذكر فهو كما وصفه الله عز وجل: { وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعِمْيَانًا } بل يقبلونها بكل رحابة صدر وبكل طمأنينة، وفي الآية الدليل على وجوب التذكير على كل حال، وفيها أن الذي ينتفع بالذكرى هم المؤمنون، وأن من لا ينتفع بالذكر فهو ليس بمؤمن: إما فاقد الإيمان، وإما ناقص الإيمان، وهنا فتش عن نفسك: هل أنت إذا ذكرت بآيات الله وخوفت من الله عز وجل هل أنت تتذكر أم يبقى قلبك كما هو قاسياً، إن كانت الأولى فاحمد الله فإنك من المؤمنين، وإن كانت الثانية فحاسب نفسك، ولا تلومن إلا نفسك، وعليك أن ترجع إلى الله - عز وجل - حتى تنتفع بالذكرى، وفي الآية دليل على أنه كلما كان الإيمان أقوى كان الانتفاع بالذكرى أعظم وأشد، وذلك من قاعدة معروفة عند العلماء، وهي: أن الحكم إذا علق بوصف ازداد بزيادته ونقص بنقصانه.

ثمرات الدعوة إلى الله:

- 1- الداعي إلى الله له من الأجر مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة كما في الحديث: " من دل على هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة.
- 2- الدعوة إلى الله تثمر لصاحبها الثبات على الهدى.
- 3- الدعوة إلى الله تثمر البركة في عقب الداعي وأهله.
- 4- الدعوة إلى الله يصلح بها حال المجتمع المحيط بالداعية وقد تتعدى بركة الدعوة إلى أماكن كثيرة.
- 5- الدعوة الصادقة إلى الله تثمر الحب للداعية في قلوب الخلق.
- 6- الدعوة إلى الله طريق لدخول الناس في دين الله وصلاح المجتمعات.
- 7- الدعوة طريق لتقليص المنكرات وقطعها.
- 8- الدعوة إلى الله سبيل لرد دعوات المضلين ودحضها.
- 9- الدعوة إلى الله سبيل في استمرار الدين وثباته في المجتمعات.
- 10- الدعوة إلى الله سبيل في عزة الإسلام ورفع شأنه ونشره.

من فوائد الذكر

1. يطرد الشيطان
2. يرضي الرحمن
3. يزيل الهم والغم
3. يجلب البسط والسرور
4. ينور الوجه
5. يجلب الرزق
6. يورث محبة الله للعبد
7. يورث محبة العبد لله ومراقبته ومعرفته والرجوع اليه والقرب منه
8. يورث ذكر الله للذاكر
9. يحيي القلب
10. يزيل الوحشة بين العبد وربه
11. يحط السيئات

فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (488)



قَوْلُهُ مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ آيَةِ 9

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أَعَدَّهَا (عزمي إبراهيم عزيز)

- 9- إن التذكير بالله والتأخي في الله من أهم القربات ومن أفضل الطاعات، وهو من الناصح والتعاون على البر والتقوى، ومن التواصي بالحق الذي أثنى الله على أهله، وأخير أهم هم الراجحون.
 - 10- التذكير بأيام الله تعالى تذكير بما أمر الله تعالى به، وبما فعله رسله عليه السلام حين ذكروا أقوامهم بأيام ربهم سبحانه وتعالى. وأيام الله تعالى تشمل نعمه سبحانه فيهم، وعذابه لأعدائهم، ووقائعه سبحانه في القرون الأولى. فتذكر النعم يؤدي إلى الشكر، وتذكر انتقام الله تعالى من الكفار والفجار يؤدي إلى الخوف والحذر والتوبة والإنابة. والتوبة مع الشكر سببان لإغداق النعم، ورفع النقم.
 - 11- من يستحضر ذكر الله وعظمته وثوابه وعقابه بقلبه ويدخل بدنه في مصالح ديناه من اكتساب الحلال والقيام على العيال ويخالط الخلق فيما يوصل إليهم به النفع مما هو عبادة في نفسه كتعلم العلم والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهؤلاء أشرف القسمين وهم خلفاء الرسل.
 - 12- أن أشرف الخلق عبر التاريخ قد خصهم الله سبحانه وتعالى بمهمة تذكير الناس، والتوجه إليهم بالنصائح، تتضح لنا عظمة هذه المهمة وتأثيرها البالغ على الإنسان والمجتمع والتاريخ.
 - 13- التذكير والنصيحة، مهمة مقدسة من جانب المذكر الناصح، لأن غايتها العودة بالغافل أو المتغافل إلى حيث الصواب والحق والصحيح.
 - 14- من أهم هذه الآداب والأصول؛ أن ينطلق الناصح والمذكر من محبته وتعاطفه مع من ينصحه ويذكره: 1- عليه أن يختار الأسلوب المناسب والمؤثر بالشخص الذي يريد أن ينصحه.
 - 2- إن الناصح المذكر يتوجب عليه أن يكون عاملاً بالنصيحة قبل أن يتوجه لغيره بها.
 - 3- أن التزام الناصح بما ينصح، يعدّ من العوامل المهمة والمؤثرة في إحراز النصيحة لتأثيرها المطلوب.
- والله أعلم .. وصلى الله على نبيينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

- 1- مذهب جمهور المسلمين من السلف والخلف؛ أن ما أمر الله به لا بد أن تكون مصلحته راجحة ومنفعته راجحة. وأما ما كانت مضرته راجحة، فإن الله لا يأمر به.
- 2- الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُعث إلى الناس كافة، ذكّر كل أحد في كل حال وفي كل مكان، فذكر النبي عليه الصلاة والسلام، وذكر خلفاؤه من بعده الذين خلفوه في أمته في العلم والعمل والدعوة، ولكن هذه الذكرى هل ينفع بها كل الناس؟ الجواب: لا، {فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: 55]. أما غير المؤمن فإن الذكرى تقيم عليه الحجة لكن لا تنفعه.
- 3- لا تنفع الذكرى إلا المؤمن، ونقول إذا رأيت قلبك لا يتذكر بالذكرى فاتممه، لأن الله يقول: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} فإذا ذكرت ولم تجد من قلبك تأثراً وانتفاعاً فاتم نفسك، واعلم أن فيك نقص إيمان، لأنه لو كان إيمانك كاملاً لا تنفعت بالذكرى، لأن الذكرى لا بد أن تنفع المؤمنين.
- 4- أن بعضهم لا تنفع معهم الإرشادات والنصائح، لذا كان من الضروري معرفة هذه الحقيقة منذ البداية لكي لا يقع أحد في اليأس ولا القنوط، لأنه حسب آية: (سَيَذَكِّرُ مَنْ نَحْشَى) {الأعلى 10} فإن المستفيدين من التذكير والتبليغ هم أهل الخشية فقط.
- 6- أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفائها دواؤها في ذكر الله تعالى.
- 7- لا ينبغي أخذ مثل هذه الآيات تكاة للتكاسل والإعراض عن التذكير، بحجة أن القوم معرضون، أو لا يفهمون، أو أنهم لن يهتدوا؛ فذلك في علم الله، فقد ينقلب الفاجر تقياً.
- 8- العبد في طريقه إلى مولاه يحتاج دائماً إلى التذكير بالآخرة، ومعرفة شرف الطاعات وفضائلها، وقبح المعاصي ومثالبها، قال تعالى: ((وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)).